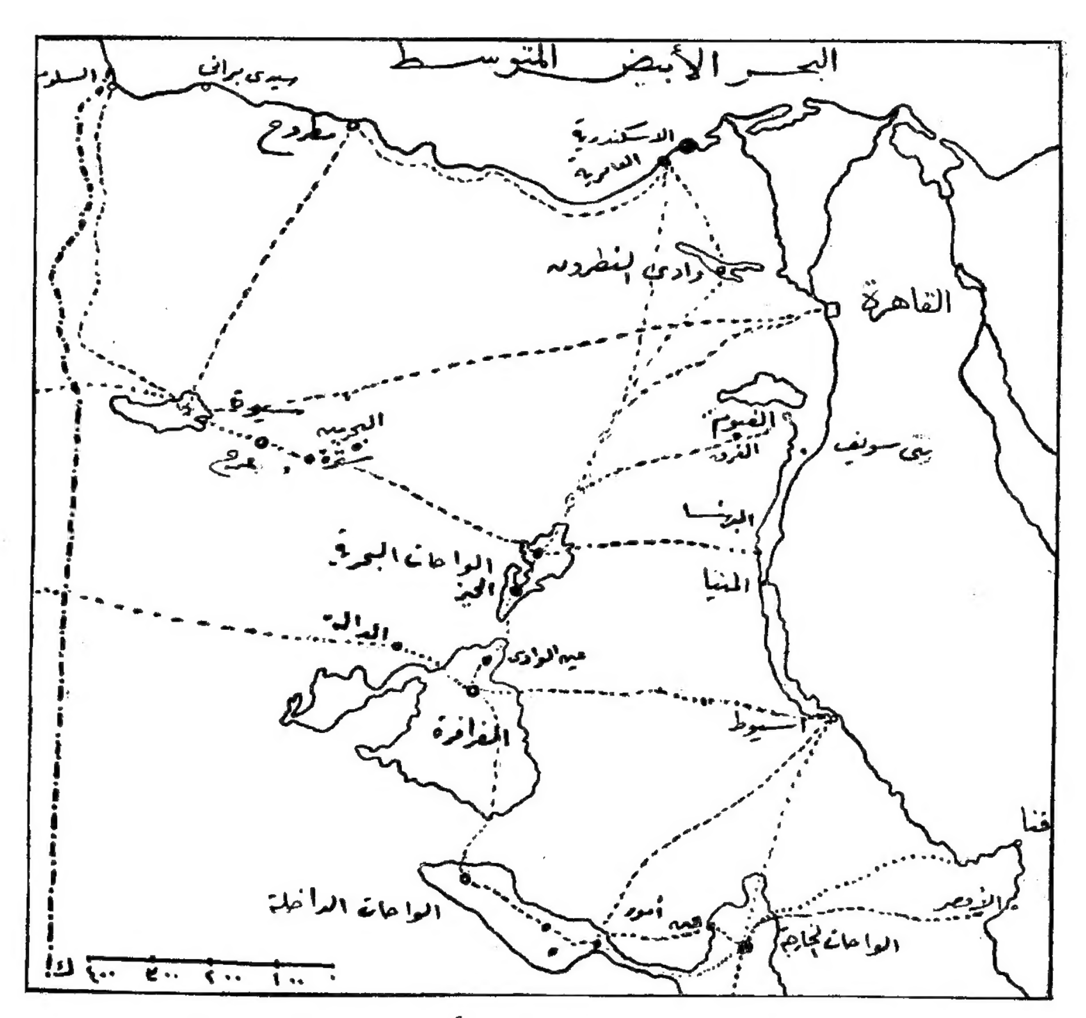
الواحات المصرية فى التاريخ

يقص علينا الرحالة المصرى القديم . « خوفو حر » فى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد أنه خرج رحلته الثالثة للسودان من منطقة أسوان واتخذ طريق الواحات ، ولو تتبعنا رحلته فى تفاصيلها لأدركنا أنه سار فى الطريق المعروف الآن وهو محاذاة ضفة النيل الغربية إلى قبيل وادى حلفا عند مكان يقال له « ساقية العبد » ثم سار فى الدرب الموصل إلى واحة « سليمة » على درب الأربعين الموصل إلى دارفور . وذكر خوفو حر لكلمة الواحات هو أقدم ما وصل إلينا فى النصوص المصرية ولكنا نعرف من الأبحاث العلمية أن مناطق الصحراء الغربية فى عصر ما قبل الأسرات كانت عامرة بالسكان وترى بقايا حضارة أهلها من آلات الظران فى جميع الواحات وفى مناطق أخرى أصبحت الآن جزءاً من الصحراء بعد انقطاع المياه عنها . وقد أثبتت دراسة هذه الآلات والأدوات صلة سكان الواحات منذ أقدم العصور بسكان وادى النيل كما أثبتت أيضاً صلتهم بحضارات أخرى فى شمال أفريقية وجنوب أوربا وشرق أفريقيا أيضاً .

وليست آلات الظران هى كل ما وصل إلينا من هذا العصر إذ يوجد عدد كبير من رسوم الحيوانات على درب الغبارى الموصل من الخارجة إلى الداخلة اكتشفها هاردنج كنج فى عام ١٩٠٨ ، كما عثرتُ فى عام ١٩٣٨ فى أحد شعاب جبل الطير شمال بلدة الخارجة فى درب مهجور على رسوم وكتابات كثيرة قبطية وديموتيقية وهيروغليفية ولكن أقدمها كلها رسوم لحيوانات متعددة من عصر ما قبل الأسرات شبيهة بما نجده من هذا العصر رسوماً على الصخر فى وادى النيل .

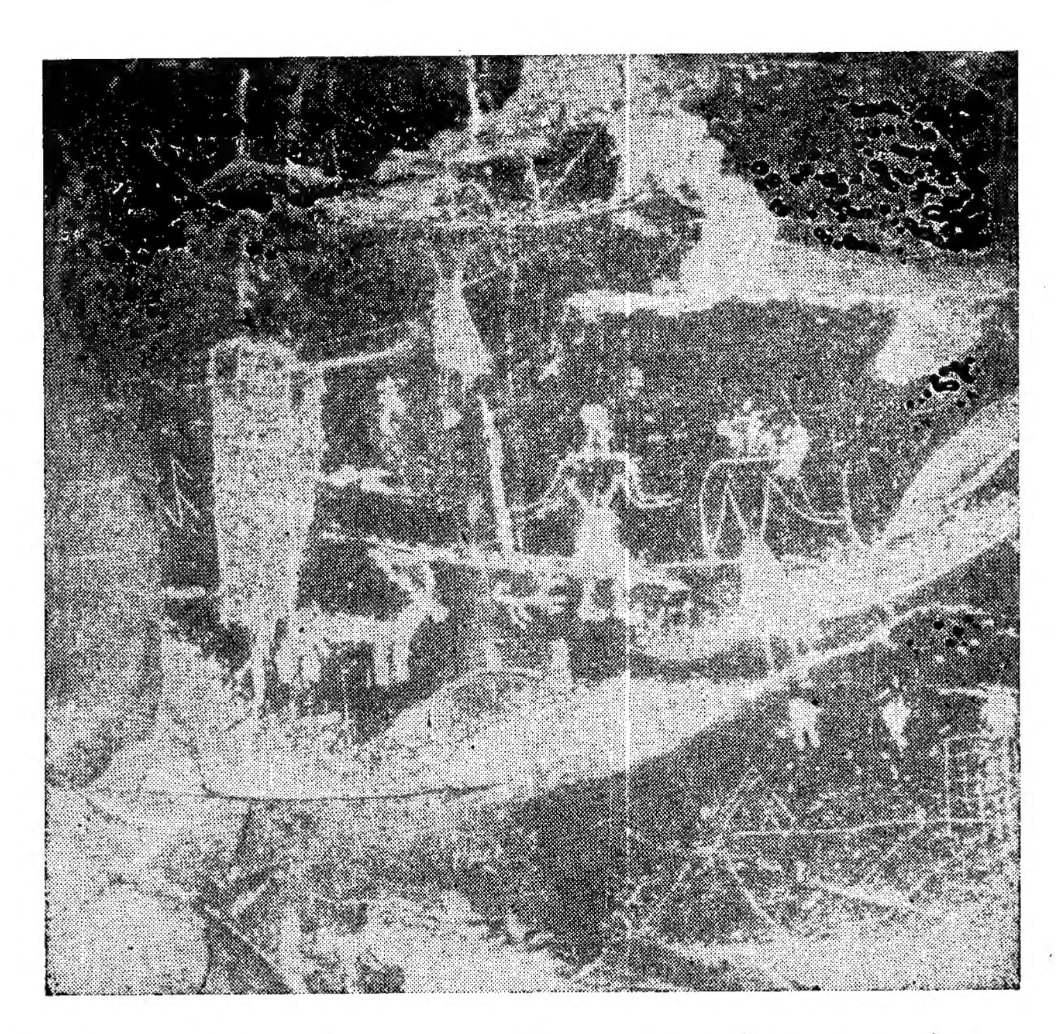
كانت الواحات — وما زالت — هى القنطرة بين ليبيا وبين وادى النيل ولعبت دوراً هاماً فى الحروب وفى التجارة وفى نقل الثقافة والحضارة فى مختلف



١ – خريطة تبين موقع الواحات من نهر النيل وأهم الطرق فى الصحراء الغربية

العصور ولهذا كان من الضرورى أن نتوقع أن يختلف سكان الواحات عن سكان الوادى إذ أنهم خليط من البربر والبدو وسكان مصر وأواسط السودان . ومجموع سكان الواحات حسب تعداد ١٩٣٧ هو ٣٩٥٤٧ منهم ٤٠٤٤ يعيشون فى سيوة ويتكلمون لغة خاصة بهم وهى اللغة السيوية إحدى لهجات التغناغ ولهم عاداتهم التى تتصل بعادات البربر القديمة ولا تشبه عادات الواحات الأخرى ، أما الواحات البحرية والفرافرة فإنهما تكونان مجموعة واحدة ويتكلمون العربية وعاداتهم بعضها يشبه عادات أهل مديرية المنيا وبعضها خاص بهم وتعداد السكان فيهما ٦٣٩٤ ، أما أهالى الخارجة والداخلة وعددهم ٢٩١٠٩ فإنهم يختلفون فى لهجتهم وماداتهم عن أهالى البحرية والفرافرة وترى فيهم أثراً كبيراً من دم البربر وعاداتهم لهذا صارت دراسة عادات أهل الواحات من أهم المواضيع التى يجب دراستها قبل أن يقضى انتشار استعمال السيارات فى الصحراء على هذه العادات ، كما أن دراسة الآثار فى تلك البلاد تكشف لنا الكثير من الصلة بين مصر والبلاد الواقعة غربها وتوضح لنا مدى تأثر الواحات بما كان فى ليبيا من حضارات .

ونعرف من آثار الأسرة الأولى أن قبائل التحنو كانت تسكن غرب مصر بما فى ذلك الواحات وأنها كانت تغير من آن لآخر على غرب الدلتا وكان هؤلاء التحنو قريبى الشبه بالمصريين من حيث الجنس والمظهر ولكنهم اختلطوا مع مرور الأيام بجنس آخر وفد إلى بلادهم من شمال أوربا ويرجح العلماء أنها قبائل جرمانية عبرت من أسبانيا إلى الشاطىء الأفريقى حوالى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ثم انتشرت بعد ذلك على الشاطىء . ويلوح أن بعض هذه القبائل الجرمانية استقر فى الواحات أو فى غربى الدلتا وقد تزوج الملك خوفو أميرة منهم أصبحت أماً لفرع من العائلة المالكة المصرية ونرى رسم هذه الملكة ورسم ابنتها « مرسوعنخ » فى مقبرة الأخيرة شرقى الهرم الأكبر ونراها ترتدى ملابس تختلف عن ملابس المصريات هى بيضاء لون البشرة زرقاء العينين شقراء الشعر . وفى مبدأ أيام الأسرة الثانية عشر نلمح أثر اهتمام الملك امنمحات الأول بتطهير بلاده من أثر الفوضى السابقة وتأمين حدودها فأقام بعض الحصون



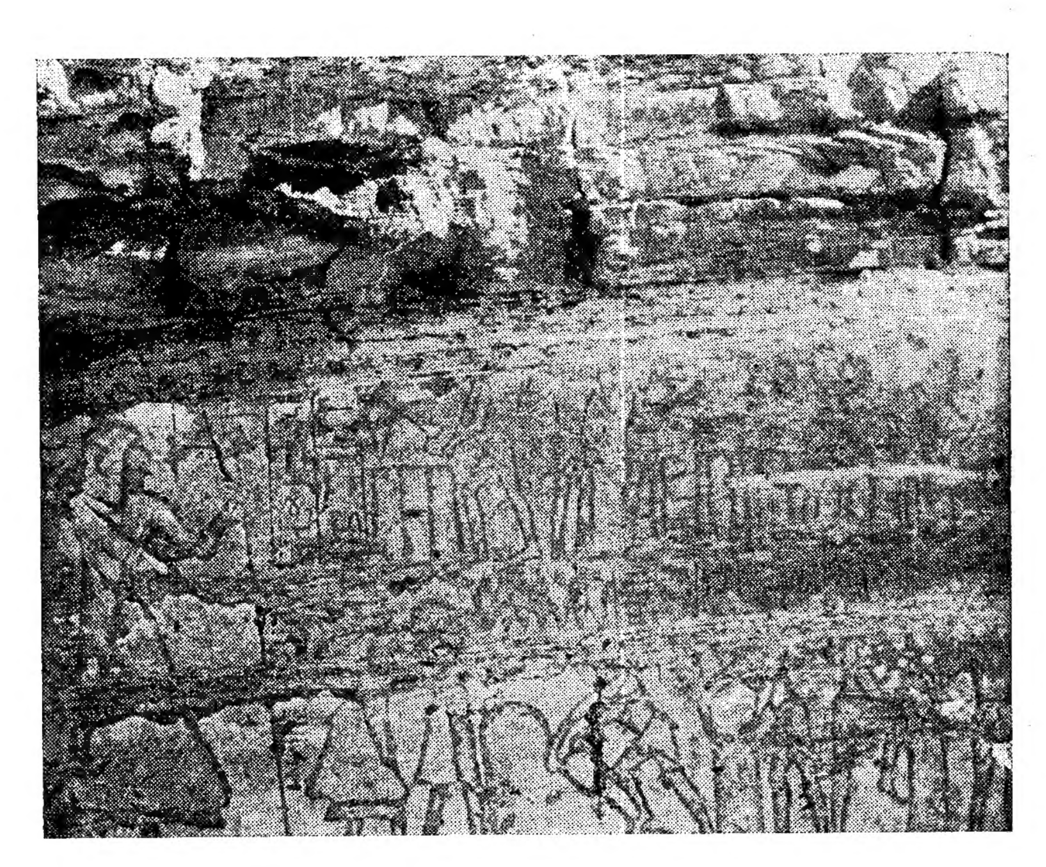
٢ — فى أحد شعاب جبل الطير شمال بلدة الخارجة توجد نقوش كثيرة خلفها المسافرون فى هذا الطريق و يرجع بعضها إلى عصر ما قبل الأسرات . وأكثرها من العصور التاريخية حتى العصر القبطى

على الحدود الغربية ما زال بقايا أحدها قائمة فى وادى النطرون . وعندما مات امنمحات سار ابنه سنوسرت الأول على سياسته ولدينا بعض لوحات من عصره تشير إلى قيام بعض الموظفين بالمرور على الواحات ومعهم جنود لتأمين الطرق وإعادة الهاربين كما نعرف من ألقاب بعض الموظفين اهتمام هذا الملك بالصحراء وإدارتها . وبالرغم من أن أكثر المناطق الأثرية فى الواحات ما زالت تنتظر من يقوم بحفرها فقد وصل إلينا القليل مما يثبت أنها بدأت تصطبغ بصبغة الحضارة السائدة فى وادى النيل ابتداء من الأسرة الثانية عشر فقد رأى المرحوم الأستاذ جولينيشف بعض الآثار الصغيرة مع الأهالى وخاصة جعارين بأسماء ملوك الأسرة الثانية عشر وذلك أثناء رحلته إلى الخارجة عام ١٨٨١ كما عثرت فى عام ١٩٤٣ فى الواحات البحرية على جعران باسم الملك سنوسرت ونعلم من قصة الفلاح الفصيح أن التجارة بين وادى النيل والواحات وخاصة الفرافرة كانت متصلة فى عهد ملوك أهناسية أى فى الأسرة العاشرة وعندما تولى الملك تحتمس الثالث عرش مصر وبدأ فى تنظيم إدارة البلاد دخلت الواحات فى عهد جديد وأصبحت كمقاطعة قائمة بذاتها ولكنها تتبع حاكم أبيدوس . وكان المصريون فى ذلك العهد يعتبرون هذه البلاد كأنها ليست جزءاً من مصر لأننا نرى فى مقبرة رخمارع وفى مقبرة چويمرع وكلاهما فى طيبة ومن عصر الملك تحوتمس الثالث مناظر تمثل أهل الواحات وهم يحضرون الجزية إلى طيبة شأنهم شأن بلاد پونت وسوريا وكريت وغيرها . وفى هذه المناظر نلاحظ ما يأتى :

أولا : أنهم كانوا يعتبرون الواحات مقسمة وحدتين وهما الواحات الشمالية والواحات الجنوبية وفى رأيى أن الواحات الجنوبية تشمل الخارجة والداخلة معاً أما الواحات الشمالية فتشمل الفرافرة والبحرية وسيوة .

ثانياً : إن أهل الواحات يشبهون المصريين فى مظهرهم ولون بشرتهم ولا يختلفون عنهم إلا فى تركهم شعر رؤوسهم ينمو أكثر من سكان وادى النيل كما أن المئزر الملفوف حول الوسط كان مصنوعاً من قماش ملون ذى خطوط رأسية بينما لم يكن المصريون يلبسون إلا المئزر الأبيض .

ثالثاً : إن حاصلات الواحات هى الحصير والأوانى المصنوعة من الخوص

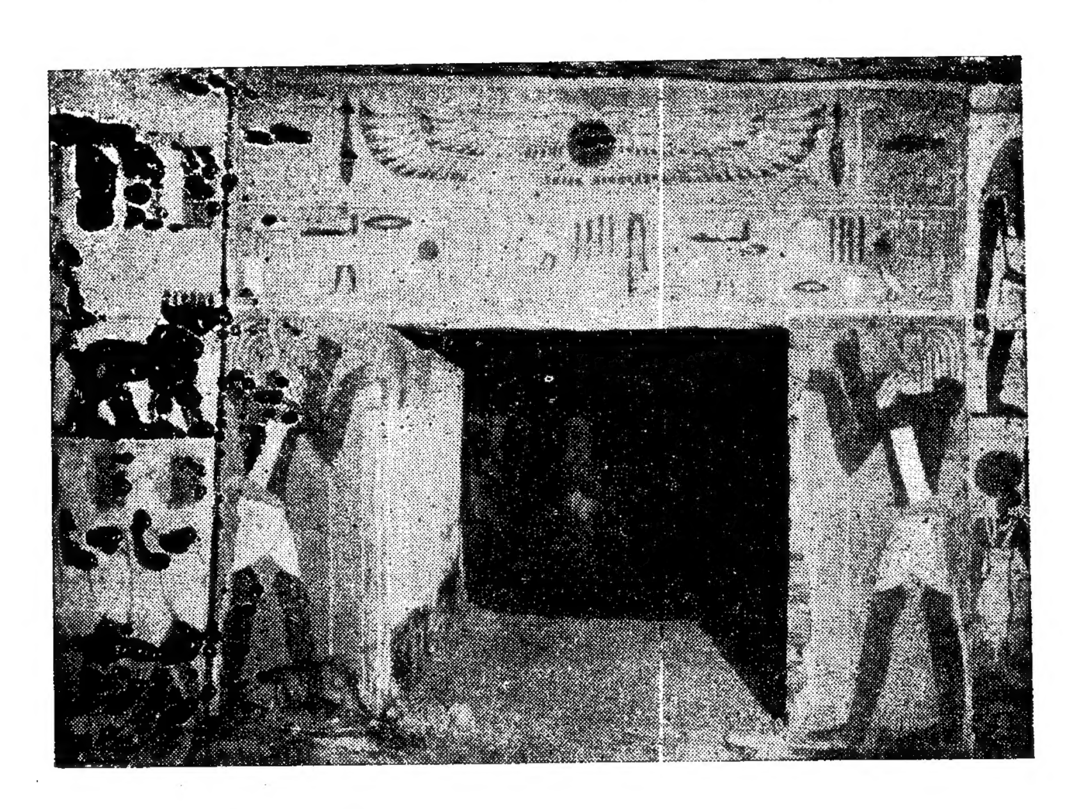


٣ — أقدم الآثار القائمة فى الواحات لا يرجع إلى عصر أبعد من الدولة الحديثة . وهذا أحد مناظر مقبرة أمنحتب حاكم الواحات البحرية وأقدم المقابر المنقوشة فى الصحراء الغربية ونراه واقفاً إلى اليسار ليشرف على أتباعه وهم يعبئون غرائر الغلال و يصفون أوانى النبيذ

ذات الغطاء المخروطى الذى ما زال يستعمله أهل الواحات ويسمونها المراجين ثم جلود الثعالب وأنواع النبيذ المختلفة.

وآثار الأسرة الثامنة عشر قليلة جداً فى الواحات ولم أعثر من هذا العصر إلى الآن على شيء غير جعران باسم الملكة حتشبسوت فى الواحات البحرية وبعض الخرز الذى أرجح نسبته إلى هذا العصر ثم مقبرة امنحتب حاكم الواحات البحرية التى من المرجح أنها ترجع إلى أواخر أيام الأسرة الثامنة عشر أو أوائل التاسعة عشر . وهى مقبرة منحوتة فى الصخر ولا تقل نقوشها أو مناظرها عن مقابر وادى النيل . ونرى فيها صاحب المقبرة وهو يشرف على وضع أوانى النبيذ فى المخازن وتعبئة الغلال فى الغرائر . ونعرف من ألقاب امنحتب ومن نقوش المقبرة أنه من أهل الواحات البحرية وأنه أصبح حاكماً لها وهذا يدل على أن إصلاحات تحوتمس أتت بثمرتها وسرعان ما تقدم أهلها فأسند ملوك الأسرة الثامنة عشر مقاليد الأمور . إلى أحد أهلها . ولا تختلف هذه المقبرة فى أى شيء سواء فى مناظرها الدينية أو ملابس الأفراد عن أى مقبرة أخرى من هذا العصر فى وادى النيل .

واستمر ازدهار الواحات بل ازداد فى الأسرة التاسعة عشر ونرى أسماء سيتى الأول ورمسيس الثانى تحتل مكاناً بارزاً وفى معبد الأقصر نرى أسماء ثلاثة من الواحات وهى الخارجة والفرافرة والبحرية ضمن البلاد التى كانت ترسل بالمعادن المختلفة إلى الملك رمسيس . ولكن محاولة الليبيين غزو مصر فى عهد منفتاح عرض الواحات لمحنة من محن الحروب إذ بدأ الأعداء بمهاجمة الواحات واحتلوا البحرية والفرافرة كما تعرضت هذه البلاد مرة أخرى لخطر الغزو فى عهد رمسيس الثالث عندما هجمت قوات الليبيين على مصر من الغرب ومن البحر يؤيدهم حلفاؤهم من الشعوب البحرية التى وفدت من أوربا . وأخذ رمسيس الثالث بعد رده الخطر عن مصر بإصلاح ما أفسدته الحرب ، وكان للواحات نصيب من عنايته فإنه أخذ فى غرس حدائق الكروم فى كل من الواحات الشمالية والجنوبية لكى تقدم النبيذ إلى معابد أمون رع كما جاء فى بردية هاريس . واستمر من جاء بعد رمسيس الثالث فى العناية بالواحات وقد



٤ — مقبرة بانتيو — مدخل حجرة الدفن ١٠ بالواحات البحرية (الأسرة ٢٦)

كشفت الرياح منذ عام ونصف عن بقايا معبد من معابد الأسرة التاسعة عشر على مقربة من بلدة بلاط فى الداخلة ومن النقوش التى ظهرت نعرف أن الملك رمسيس التاسع أعاد بناء ما وجده قد تهدم من المعبد كما صنع أبواباً جديدة له . وتوجد على مقربة من هذا المعبد جبانة لم يقم أحد بحفرها إلى الآن ويرجع تاريخها إلى الدولة الحديثة .

وفى الأسرة الواحدة والعشرين اتخذ الملوك الواحات الخارجة منفى لمن يغضبون عليهم من سكان طيبة الذين كانوا دائمى الثورة على الحكام فى ذلك الوقت وقد اضطر الملك منخبر رع إلى العودة من الشمال لإخماد إحدى الثورات التى قامت فى طيبة للمطالبة بعودة المنفيين فلم يجد أمامه من سبيل إلا النزول على إرادة الأهالى ولو أنه جعل هذا النزول أو التراجع كأمر إلهى من وحى أمون رع الذى أمر بعودتهم كما أمر فى الوقت ذاته بألا ينفى بعد ذلك أحد من أهل طيبة إلى الواحات .

وعلى ذكر هذا النص أود أن أشير إلى نفوذ كهنة أمون رع الذى بدأ يسيطر سيطرة تامة على كل شىء سواء فى حياة الأهالى أو فى شئون الحكومة إذ أصبح جواب الإله على أى سؤال كافياً لتبرئه أى مجرم أو إدانة أى برىء كما أن جواب الإله هو الكلمة الأخيرة فى تعيين شخص فى وظيفة أو حرمانه منها وبذلك أصبح للكهنة أو أصبح لأساليبهم السلطة التامة على حياة الشعب الذى كان يؤمن بصحة الوحى وصحة النبوءات وكان من أثر ذلك أن بعض كهنة أمون أسسوا فى بلاد اليونان وفى واحة سيوة نبوءة مثل نبوءة طيبة . وقد أصبح معبد أمون فى سيوة بعد وقت غير كثير أشهر مراكز الوحى والنبوءات فى شمال أفريقيا بل كان فى رأى سكان بلاد اليونان أنفسهم أصدق وأهم من أكثر النبوءات فى بلادهم .

وإذا كان الليبيون قد عجزوا عن غزو مصر بجيوشهم فى عهد الأسرتين التاسعة عشر والعشرين فإنهم بدأوا يتسللون إلى مصر ويستقرون فيها ويخدمون ملوكها حتى آل إليهم الأمر فى الأسرة الثانية والعشرين ولكنهم استقروا قبل ذلك فى الواحات وهذا هو السبب الذى جعل ملوك هذه الأسرة يهتمون أكبر



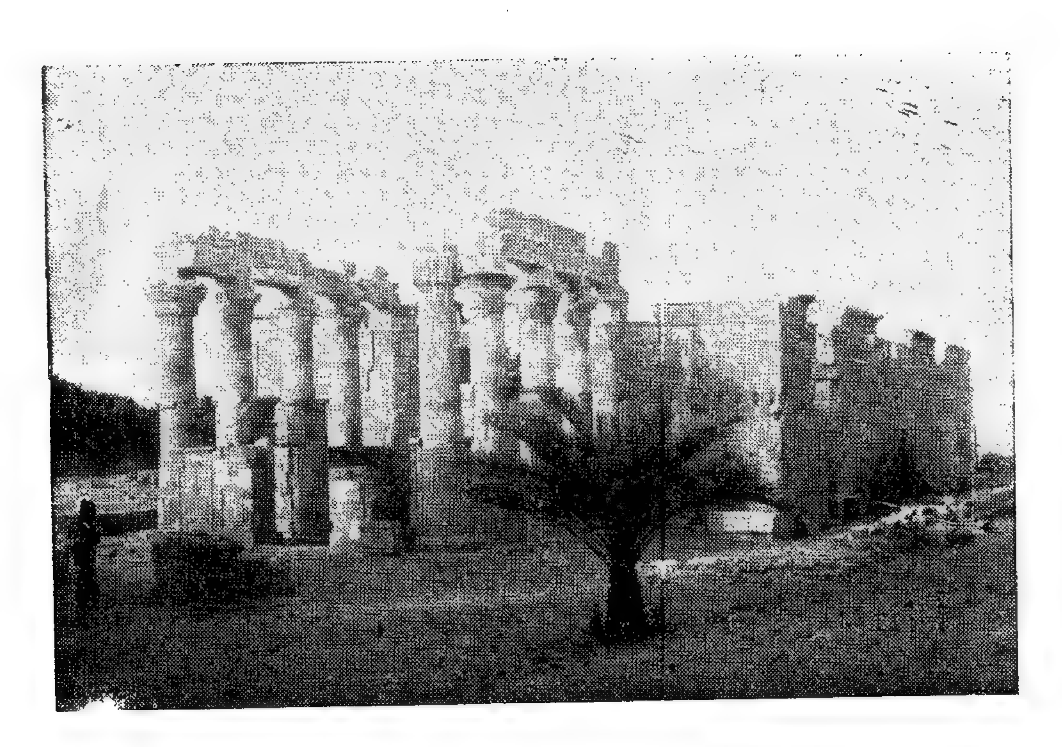
٥ — تانفرت باست وابنتها فى مقبرة زوجها ثاتى
فى الواحات البحرية

٦ — الإله « حا » إله الصحراء وعلى رأسه العلامة الخاصة
بالصحراء وأمسك فى يده حربة

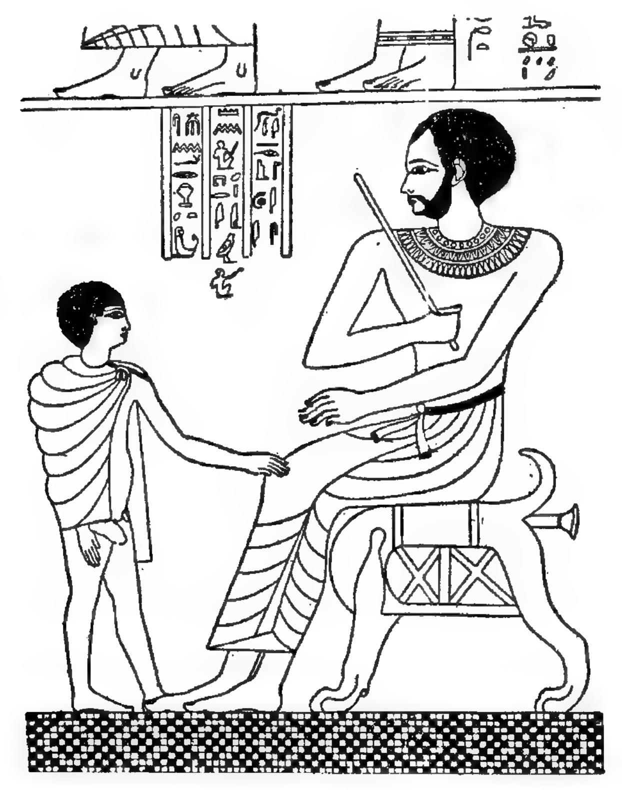
الاهتمام بموطنهم القديم فقد أرسل شيشنق الأول أحد موظفيه ليفحص حالة الواحات ويقترح ما يؤدى إلى عمرانها . ووصلت إلينا آثار كثيرة من الخارجة والداخلة من هذا العهد كما عثرت فى الواحات البحرية على لوحة مقامة على مقربة من هيكل وعليها اسم الملك شيشنق الرابع وفى عهد هذه الأسرة عاش شخص يسمى « إرعوا » فى الواحات البحرية أسس عائلة حكمت هذه الواحة التى بلغت أوج ازدهارها أحد أحفاده وهو كبير كهنة الواحات وحاكمها « زد خونسو أوف غنخ » الذى عاش فى عهد الملك أحمس الثانى فى الأسرة السادسة والعشرين .

بدأت مصر عهداً جديداً فى الأسرة السادسة والعشرين واستيقظ الشعور القومى فغمرت البلاد موجة من موجات النهضة والإصلاح وظهر أثر ذلك جلياً فى الواحات . ففى سيوة بدأ تمصير المعبد الليبى القديم فى عهد أمازيس بأن أضاف عليه حاكم سيوة المسمى « سوتخ إروس » بعض العناصر المعمارية المصرية وأهمها الكورنيش كما نقش الهيكل برسوم تمثل أهم آلهة مصر وخاصة أمون رع وثالوثه . وفى الواحات البحرية كشفت عن بقايا معبد كبير من عهد أبريس ومعبداً آخر من عهد أمازيس وأربعة هياكل مستقلة للآلهة المختلفة غطيت جدرانها برسوم الآلهة المختلفة والمناظر الدينية كما نحت الموظفون لأنفسهم عشرات المقابر وزينوها بالرسوم وأهمها مقابر بدعشتر وثاتى وبانتنيو وزد أمون أوف عنخ . وفى الخارجة وضع أمازيس أساس معبد هيبس ولكن اضطراب الأمور فى البلاد لم يمكن ملوك هذه الأسرة من إتمام بنائه فلم يُبن أكثر أجزائه إلا فى عهد الفرس كما أنهم هم الذين أمروا بنقش جدرانه .

ويرجع السبب فى اهتمام الملك داريوس بالواحات وإتمام معبد هيبس إلى رغبته فى إرضاء المصريين ومحو الأثر السيئ الذى تركته أعمال قمبيز . وقد روى هيرودوت أن قمبيز سير جيشاً من طيبة لإخضاع واحة أمون وحرق معبده وقتل كهنته . وغادر الجيش طيبة ووصل إلى الخارجة التى كان يسميها اليونان جزيرة السعداء وبعد أن استراحوا وتزودوا للطريق تركوها فى طريقهم إلى سيوة ولكن لم يصل أحد من جنود قمبيز إلى تلك الواحة كما لم يعد أحد منهم



٧ — منظر عام لمعبد آمون بالخارجة الشهير باسم معبد هيبس و يرجح العلماء أن الذى بدأ فى عمارته هو الملك أحمس الثانى من ملوك الأسرة ٢٦

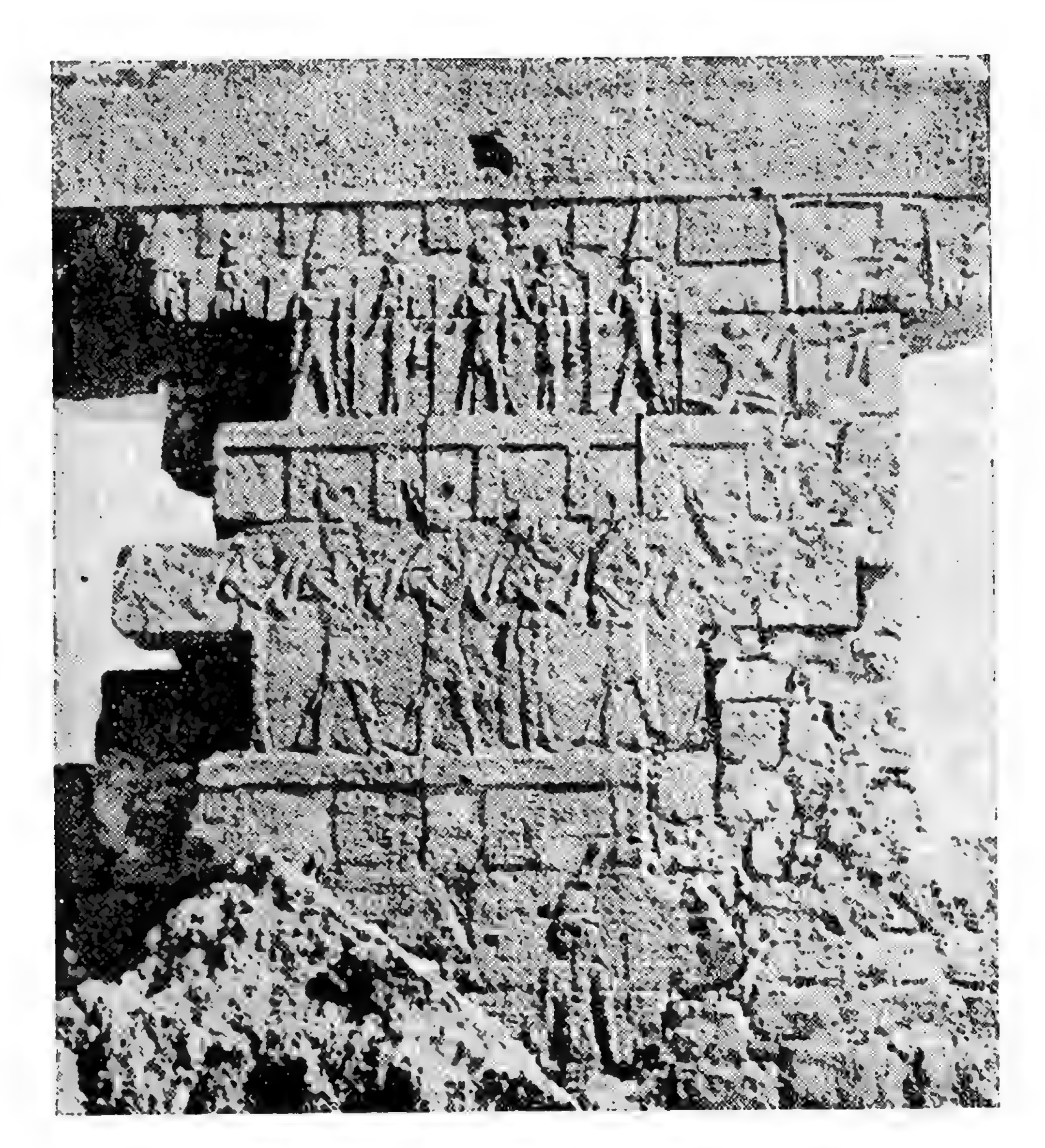


٨ — رسم يمثل «سا أمون» أحد أصحاب المقابر فى سيوه

إلى الخارجة ولما سئل كهنة أمون عن ذلك أجابوا بأن إلههم انتقم من أعدائه وأن الجيش كان فى منتصف الطريق عندما هبت عليه عاصفة رملية عند استراحته وقت الظهيرة دفنتهم جميعاً . وما زال مكان دفن هذا الجيش سراً من أسرار الصحراء الغربية وطالما ألهبت فكرة العثور على هذا الكنز خيال بعض الرحالة فى الوقت الحاضر فقامت بعثات عديدة قبل الحرب الأخيرة بالسيارات كما استخدم البعض طائرة للبحث وكل منهم يداعبه خيال الملايين من الجنيهات التى يمكن الحصول عليها من بيع أسلحة خمسين ألف جندى وما معهم من عتاد .

كانت شهرة نبوءة سيوة هو السبب الذى دعا قمبيز إلى إرسال حملة فلما عرف الناس ما حاق بالجيش زادت شهرة هذه الواحة وإلهها وأخذت وفود ملوك البلاد الإغريقية وكبار رجالها يحجون إلى سيوة ليسألوا كهنتها عما يخبئه لهم الغيب . وكانت هذه الشهرة العظيمة هى التى حملت الإسكندر الأكبر على القيام برحلته الشهيرة كما كان صدق نبوءات الكهنة هو الذى جعل البطل المقدونى يخلص لأمون إلى آخر أيام حياته حتى أنه طلب من صديقة الحميم « أريديوس » وهو فى سكرات الموت ألا يدفنه إلا على مقربة من أبيه أمون فى سيوة ولكن تدخل بطليموس وتصميمه على دفنه فى الإسكندرية حال دون تنفيذ هذه الرغبة . ومن الغريب أننا لم نعثر على اسم الإسكندر إلى الآن فى واحة سيوة والمعبد الوحيد الذى أبقت عليه الأيام من عهده فى الواحات هو المعبد الذى عثرت عليه فى البحرية عام ١٩٣٩ .

وازدهرت الواحات فى أيام البطالمة وخاصة فى أوائلها ونجد من هذا العصر جبانات كثيرة فى سيوة وفى البحرية أهمها كلها مدفن طيور ألايبس فى البحرية ومقبرة « سا أمون » فى سيوة . وقد كشف عن هذه الأخيرة وثلاثة أخرى منقوشة أهالى سيوة بين شهرى نوفمبر وديسمبر عام ١٩٤٠ عندما أغارت الطائرات الإيطالية عليهم وأمطرتهم بقنابلها ففزعوا إلى جبل الموتى هرباً من الموت وأخذ من لم يجد قبراً يأوى إليه فى البحث فى جوانب التل عن قبر جديد . ويظهر أن سا أمون من أصل إغريقى استوطن سيوه وتزوج من مصرية ودان بديانة



٩ — معبد آمون فى جهة أغورمى أو معبد أم عبيدة و يرجح تاريخ هذا المعبد إلى عصر الملك نختنبر الثانى من ملوك الأسرة ٢٦

المصريين وكون لنفسه ثروة مكنته من عمل هذه المقبرة العظيمة التى لا جدال فى أنها أجمل ما ظهر من مقابر فى الصحراء الغربية . ونرى فى هذه المقبرة وفى غيرها أثر امتزاج الفنين المصرى واليونانى . ونرى فى الواحات الخارجة من أيام البطالمة بعض الآثار أهمها كلها معبد قصر الغويطة على مقربة من بولاق .

وجاء العصر الرومانى فدخلت الواحات فى عهد جديد من الرخاء لم تره منذ أيام الأسرة السادسة والعشرين إذ اهتموا بتعمير الصحراء وحراسة دروبها لتشجيع التجارة كما اهتموا بالزراعة إلى أبعد الحدود فنظفوا عيون المياه القديمة كما حفروا عيوناً جديداً وعمموا الصهاريج لتخزين مياه الأمطار كما استحدثوا فى الواحات نظاماً فريداً للحصول على المياه فى المناطق التى لم يمكن فيها حفر العيون إذ كانوا يحفرون سراديب فى الصخر تسير كيلومترات عديدة ولها منافذ من آن لآخر توصلها بسطح الأرض وتسير هذه السراديب بانحدار فتتجمع المياه وتندفع إلى أن تصب فى مكان واطىء وتصبح كالعين ويمكن الاعتماد المطلق عليها فى الرى وخير مثال لهذه السراديب التى ما زالت مستعملة إلى الآن نراه فى الباويطى ، فى الواحات البحرية وأهم منه ما نراه فى المنطقة المعروفة باسم أم الدبادب فى شمال الخارجة .

ولو أردنا أن نحصر المناطق الأثرية من عهد الرومان فى جميع الواحات لوجدنا أنها تبلغ المئات لأنهم اهتموا بكل مكان ونرى اليوم آثار مبانيهم ومقابرهم فى بعض الواحات المهجورة مثل البحرين والنواميسة وخاصة واحة الأعرج بين سيوة والبحرية وكلها غير مأهولة الآن كما نرى آثار مبانيهم فى الدالة وأبو منقار بين الفرافرة والداخلة ويكفى أن أشير إلى اثنى عشر منطقة فقط وهى معابد الناضورة وزيان ودوش والحصن الرومانى المعروف بالدير فى الخارجة ثم معبد عين أمور بين الخارجة والداخلة وجبانة بشندى ومعبد القصر بالداخلة ثم حصن الفرافرة ومنطقة الحيز ثم قصور محارب فى البحرية وقريشت وبلاد الروم فى سيوة .

ولما انتشرت الديانة المسيحية فى وادى النيل سار بها المبشرون إلى الواحات فلقيت إقبالا كبيراً وساعد على انتشارها بعد الواحات عن مضطهدى الكنيسة



١٠ – كان جزء كبير من هذا المعبد قائماً حتى عام ١٨٩٣ ولكنه تهدم قبل عام ١٨٩٨
(عن مؤلف لفون مينوتولى قنصل ألمانيا فى مصر فى عام ١٨٢٠)



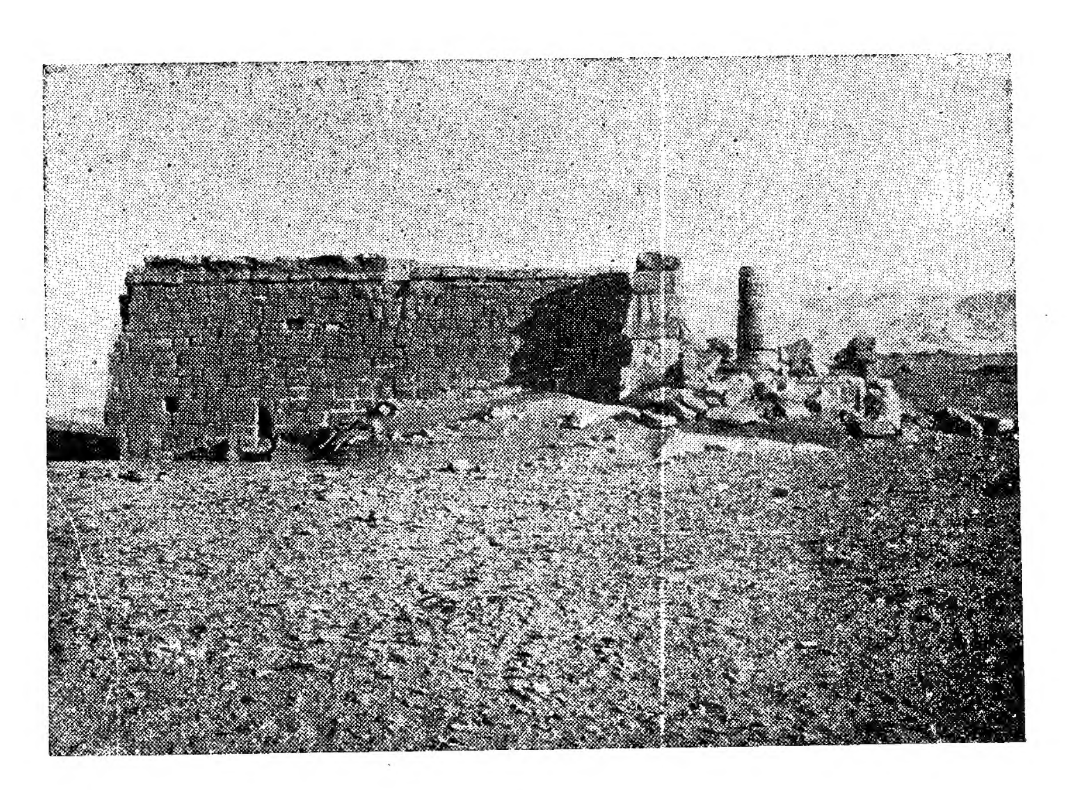
١١ – معبد قصر دوش ويرجع تاريخه والمدينة التى حوله إلى عصر البطالمة

ونعرف تمام المعرفة أنه فى منتصف القرن الثالث الميلادى كانت توجد جالية مسيحية كبيرة فى الخارجة يقيمون فى جنوبها وكان خير عون لإخوانهم فى الدين الذين يهربون من الاضطهادات أو ينفيهم الرومان إلى تلك البلاد .

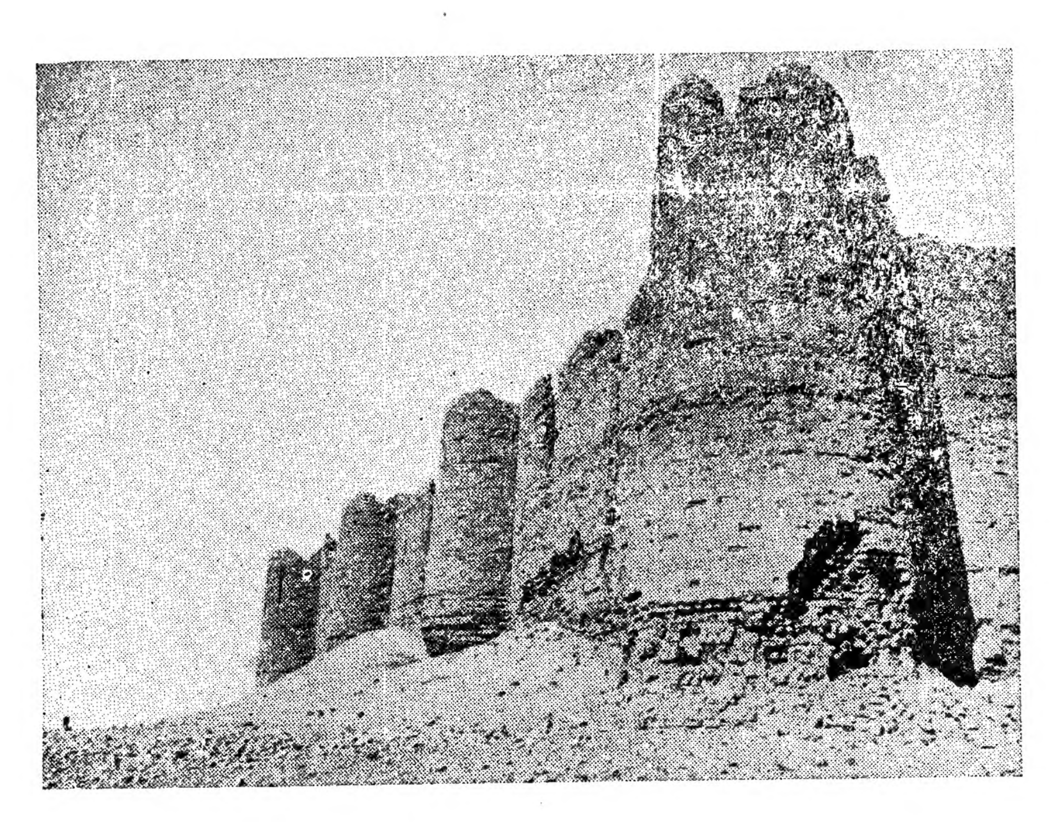
وقد عثرت منذ عامين فى الواحات البحرية على منازل بعض المسيحيين ووجدت فيها آثاراً أثبتت أنها كانت عامرة فى القرن الرابع الميلادى . وفى الواحة الصغيرة المعروفة باسم واح الحيز توجد كنيسة من أقدم الآثار القبطية إذ يرجع تاريخها إلى القرن الرابع وما زالت حافظة لكيانها إلى الآن .

وقبل بناء هذه الكنيسة اتخذ المسيحيون فى هذا المكان النائى فى الصحراء من أحد القصور الرومانية مكاناً حولوه إلى كنيسة ورسموا على جدرانه كثيراً من الرموز المسيحية كما أقاموا فى وسط الحجرة مذبحاً . وقد عثرت فى العام الماضى على هذا المكان وأعتقد أنه يرجع فى تاريخه إلى الزمن بين منتصف القرن الثالث أو أوائل الرابع .

وكانت الواحات فى أيام التناحر بين اليعقوبيين والنسطوريين منفى يرسلون إليه من يغضبون عليه من آباء الكنيسة ولهذا جاء إليها الكثيرون وربما كان ذلك هو السبب الذى مكن المسيحيين من أهل الواحات من إقامة جبانتهم المعروفة تحت اسم البجوات على هذه الصورة العظيمة من الفخامة والرقى فى العمارة إذ أنها تعتبر بحق من أهم وأقدم الآثار المسيحية فى العالم . وتشبه هذه الجبانة بشوارعها وهياكلها القائمة مدينة مهجورة إذ تحتوى على ٢٦٣ هيكلا أكثرها مزخرف من الخارج ويغلب عليها أثر الطراز البيزنطى كما احتفظ خمسة منها بزخارفها الملونة وأهم هذه الهياكل الملونة اثنتان إحداهما يرجع تاريخها إلى القرن الرابع وقبتها ملأى بمناظر مختلفة من التوراة والقليل من المناظر المسيحية وأهم مناظرها منظر خروج بنى اسرائيل من مصر يتقدمهم سيدنا موسى ويتبعهم فرعون وجنوده . أما القبة الأخرى فهى بيزنطية الطراز ومناظرها الملونة على جانب كبير من الدقة وهى تمثل بعض مناظر مما جاء فى قصص التوراة ولكن يوجد بينها مناظر مسيحية صرفة مثل رسم السيدة العذراء وقد جاءتها البشارة ورسم القديسة تكلا وأمامها القديس بولس .



١٢ – منظر عام لمعبد القصر فى الواحات الداخلة ويرجع تاريخه إلى أوائل أيام حكم الرومان فى مصر



١٣ – أحد الحصون الرومانية المقامة على طول درب الأربعين وكان مقر إحدى الحاميات ويطلق عليه الأهالى الآن اسم الدير

وهذه الجبانة مصدر من أهم المصادر لدراسة فن البناء بالطوب وخاصة فى إقامة العقود والأنواع المختلفة من القباب ويوجد فى العشرات من هياكلها آلاف الكتابات باللغات اليونانية واللاتينية والقبطية والعربية وبعض هذه الكتابات له أهمية تاريخية غير قليلة .

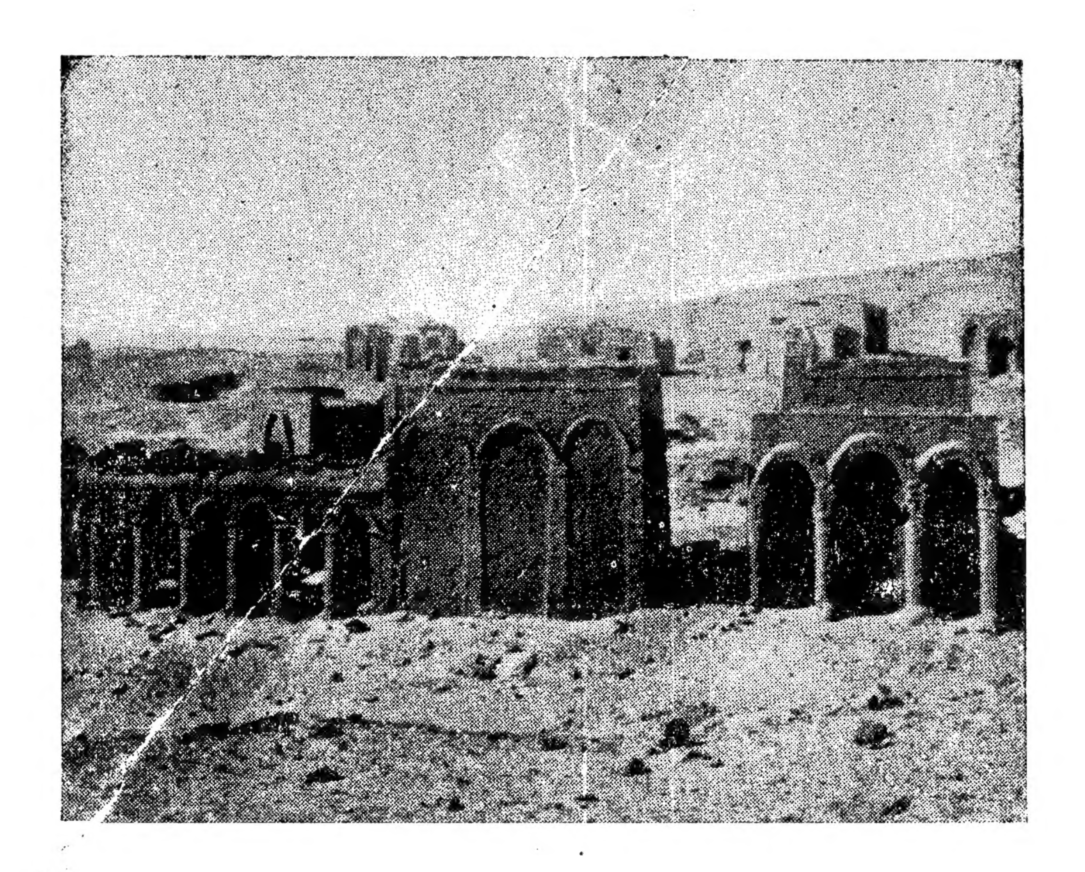
وبمناسبة ذكر هذه الجبانة أود أن أشير إلى حقيقة لها أهميتها فإن أكثر الباحثين يعتقدون أن آخر مكان استمرت فيه عبادة الآلهة المصرية القديمة هو جزيرة فيلة حتى جاء الإمبراطور جوستنيان فأغلق المعابد فى عام ٥٢٥ ميلادية. ولكنى أعتقد أن عبادة أمون وعبادة الشمس استمرت فى سيوة بعد هذا التاريخ بأكثر من مائة سنة لأننا نعرف من تاريخ حياة القديس صمويل أن أهل الواحة التى حملوه إليها كانوا يعبدون الشمس ولم يكن بينهم مسيحيون وتقهقرت الواحات فى العصر العربى وأخذت الحمى وهجمات البدو تفتك بمن فيها حتى كادت تقفر من ساكنيها فلما مر بها الإدريسى فى القرن الثانى عشر لم يجد أحداً من السكان فى الواحات البحرية ولكنه ذكر أن سيوة كان يقطنها مسلمون . وفى عهد المقريزى أى فى القرن الخامس عشر كان تعداد سكان سيوة نحو ستمائة شخص فقط . وقد دخلت الواحات منذ فتحها فى عام ١٨٢٠ فى عهد جديد .

هذا عرض خاطف للواحات المصرية فى التاريخ رأيتم فيه شيئاً قليلا من آثارها وإذا كانت دراسة مناطقها الأثرية ما زالت فى المهد فإنى أرجو أن يحين اليوم الذى تقص فيه رمال الواحات ما مر عليها من أحداث فتضيف إلى علم الآثار وإلى تاريخ وادى النيل كثيراً مما نحن فى حاجة إليه[1] .

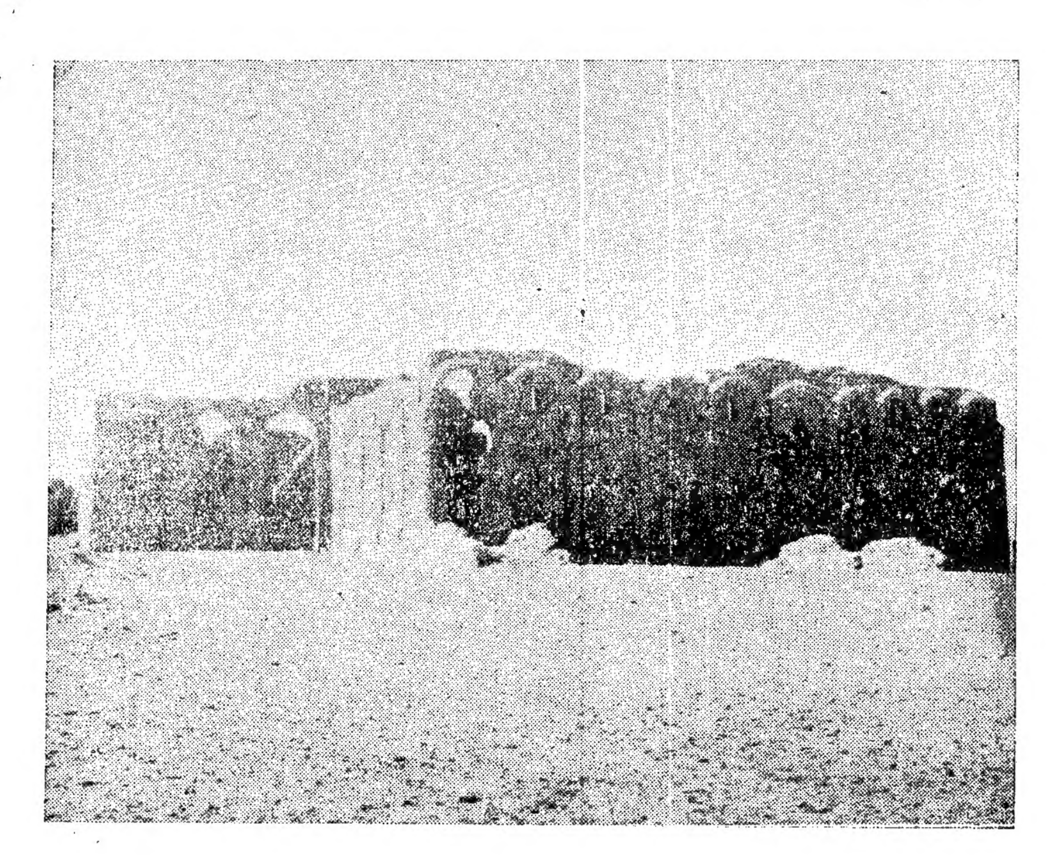
أحمد فخرى

---

(١) عرضت الصور بالفانوس السحرى وكان مجموعها ستين صورة انتخبنا منها أربعة عشر صورة فقط لنشرها مع هذا البحث لإعطاء فكرة عن بعض ما فى الواحات من آثار . [محاضرة ألقيت فى دار الجمعية التاريخية]



١٤ ا —



١٤ ب —

رسمان لبعض هياكل جبانة البجوات فى الخارجة وهى من أهم الآثار المسيحية القديمة فى العالم
ومن أهم المصادر لدراسة فن العمارة البيزنطية